مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية | المجلد 14، العدد 1، (السداسي الأول 2022م)، ص. 651- 674

منهاج الإصلاح والإرشاد بين الشاهد والبشيروالنذير

Reformist policy and Guidance within the Witness, the Bearer of good tidings, and the Warner

عبد الغاني بن شعبان*

جامعة الإخوة منتوري قسنطينة1، كليّة الآداب واللّغات، الجزائر،

benchabane.abdelghani@umc.edu.dz

تاريخ الاستلام: 2021/11/16 تاريخ القبول: 2022/02/28 تاريخ النشر: 2022/03/31

ملخص:

يحاول هذا المقال الغوص في أطر الإرشاد، التي سار عليها الأنبياء والرّسل، في ظلّ عملية نقلهم لما أرسلوا به فكانوا شاهدين على أقوامهم مكتشفين لأسرارهم وسلوكهم بين ما هو سويّ وما هو غير سويّ، ومبشّرين بما هو خير لهم لينالوا سعادتهم الأبديّة في دنياهم ثمّ في آخرتهم، ومنذرين بعذاب أبديّ إن لم يتّبعوا ما شرعه الله لهم.

الكلمات المفتاحية: لغة؛ دراسة؛ قرآن؛ إصلاح؛ شاهد.

Abstract:

This paper aims at exploring the realms of El-Irshad (guidance), adopted by both prophets and messengers, during their Mission that consists in conveying the Devine Message, witnessing their people's way of life, finding out their secrets, noting their behavior towards what is straight and what is not straight, bearing good tidings to achieve an endless happiness in their worldly life then in their eternal lives, and warming of an everlasting punishment those amongst them who do not follow Allah's Orders.

Keywords: Guidance; Studies; Quran; Behavior; Reform.

* المؤلف المرسل

المقدّمة:

بعث الله النبيئين للنّاس شاهدين ومبشّرين ومنذرين، فكانوا خير مرشد ومعلم يُقتدى به. ليقدّموا بذلك لكلّ أمّة دستورها ذا المنبع الإلهي الأوحد الذي أقرّه الله لها، هو منهاج واحد بمصدره الإلهي الذي لا اختلاف فيه، واحد لأنّ الله عزّ وجلّ أوحى لكلّ أنبيائه ورسله بأداء الرسالة نفسها، على تعاقبهم وتسلسل أزمنتهم واختلاف أقوامهم ومستويات أفهام النّاس عندهم.

لكن بالرّغم من وحدانية المصدر وتفرّده ظهر الاختلاف بين الخلق والنّاس بشكل واضح، اختلاف نابع من اتّباعهم لأهوائهم بغير علم، وبغي بعضهم على بعض. فمثلا إذا تعلّق الامر بأمّتنا العربية الإسلامية، فوضعها العام في هذه الأيّام، يمكن أن يقال عنه غير سوي، وذلك ما يبعث إلى التساؤل عن تدهور تلك الحال وعدم استوائها، بالرّغم من امتلاك المسلمين لأهمّ دستور متكامل للحياة، وهو الإسلام، بشقيّه القرآن الكريم آخر الكتب السماويّة في المقام الأوّل مصدرا للتشريع، وسنّة الرّسول محمّد عليه الصلاة وأزكى التسليم، نبيًّا رسولا خاتما للنبيّين مكمّلا لما جاء به من قبله أنبياء ورسل.

وحال الأمّة الإسلامية لا يختلف كثيرا عن حال أمم أخرى، تتّبع أفكارا ومعتقدات قد تقترب مع ما جاء به الإسلام، وقد تفترق في أمور أخرى كثيرة.

ولذلك جاء التفكير في هذا المقال، وفيه محاولة لربط المشكلة الرّئيسة لسبب تململ حال البشريّة، بغياب التّواصل بين أبناء الأمّة الواحدة، من منطلق خاص، وبين البشر بالمفهوم العام. ضعف في التّواصل لحقه ضعف المعرفة والإدراك، فالمنهج واحد لكن طرائق فهمه تختلف. فجاء العمل على البحث عن طرق تعامل الأنبياء والرّسل مع البشر لتوجيههم ولتعديل سلوكهم. مفترضين بأنّ اتباع تلك المناهج قد يجنّب الأمّة ما وصلت إليه.

ويتحدّد منهج المرسلين الذي يخصّه هذا المقال، بشكل حصري، بالنظر إلى تتبّع كلمات ثلاث من القرآن الكريم، قد تكون مفتاح الولوج إلى بيت القصيد، فتصفه وترسم معالمه. والكلمات الثلاث محور الدّراسة هي **الشّاهد والمبشّر (البشير) والنذير**. والتي جاءت في مواضع مختلفة مقترنة مع بعضها البعض وبترتيب معين، ومتفرّقة في مواضع أخرى.

ويبحث هذا المقال بشكل خاص عن معطيات عدّة، يمكن تلخيصها مبدئيا في مجموعة من التساؤلات كالآتي:

ما سبب اقتران هذه الكلمات الثّلاث بالذّات مع بعضها البعض؟ وما هو سياقها العام؟

لماذا جاءت على صيغها الصرفيّة تلك؟

ما سبب ترتيبها على النحو الذي جاءت به، تقديما وتأخيرا؟

ما سبب اجتماعها في آيات؟ وافتراقها في أخرى؟

هل ناقشت العلوم الحديثة خاصّة علم النفس بشقّه التوجيهيّ والإرشادي هذا الأمر؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات، جاءت خطّة العمل على إحصاء مجمل الآيات التي وردت فيها هذه الكلمات. ثمّ البحث عن آراء المفسّرين في ذلك. تتزاوج معها تلك الإطلالة على رأي السّيرة النبويّة في الموضوع. ثمّ البحث عن النظرة الموصوفة بالعلميّة للموضوع من باب علم النفس الإرشادي. وهو ما دفع بالدراسة إلى الاعتماد على المنهج الوصفي النقدي التحليلي.

وقد نوقش الموضوع من قبل عن عديد المفسّرين والمشتغلين بعلوم القرآن لكن بشكل متفرق، عملت الدراسة على جمعه وترتيبه مع مزاوجته بالدراسة النفسية.

وأوّل شيء يتطرّق إليه المقال، هو مصطلح الأمّة الواحدة التي افترقت واختلفت، ليتبعها محاولة للإجابة عن التساؤل الأخير، المتمثّل في النظرة العلميّة لموضوع الإرشاد والتوجيه، ليليها تحليل آيات محور الدّراسة.

1. الأمّة الواحدة:

جاء ذكر التركيب اللّغوي (أمّة واحدة) في آيات تسع من القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ ﴾.[1](البقرة، 213)

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾.[2] (المائدة، 48)

﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾.[3] (يونس، 19)

﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ ﴾.[4] (هود، 118) ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾(هود، 119)

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾.[5] (النحل93)

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾.[6] (الأنبياء، 92)

﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴾.[7] (المؤمنون،52)

---

[1] سورة البقرة213.

[2] سورة المائدة48.

[3] سورة يونس19.

[4] سورة هود119/118.

[5] سورة النحل93.

[6] سورة الأنبياء92.

[7] سورة المؤمنون52

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ ﴾.[8] (الشورى، 8)

﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾.[9] (الزخرف،33)

ويمكن إجمال تلك الآيات وترتيبها في هذا الجدول التوضيحي:

	أُمَّةً وَاحِدَةً	
إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ		وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ
وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ		وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتقُونِ
كَانَ النَّاسُ		فبعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ۚ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بغْيًا بينهُمْ ۖ فهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ۗ وَاللَّهُ يهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ
وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا		فَاخْتَلَفُوا ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بينهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ		وَلَا يزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ
وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَاحْكُم بينهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ۖ وَلَا تتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنهَاجًا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ		وَلَٰكِن لِّيبلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فينبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ		وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تعْمَلُونَ
وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ		وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ۚ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ
وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ		لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ

[8] سورة الشورى8.

[9] سورة الزخرف33.

ومن خلال القراءة الأولى للآيات، تجد بأنّ العامل المشترك بينها هو التركيب اللّغوي (أُمَّةً وَاحِدَةً)، وذهب أبو هلال العسكري في باب حديثه عن مفهوم كلمة (الأمّة) في كتابه الأشباه والنظائر إلى أنّ المقصود بها الجماعة المتّفقة على الملّة الواحدة، والتي ابتدأت مع آدم عليه السلام ثمّ بعد سفينة نوح عليه السّلام.[10]

ومن الملاحظات على التركيب كذلك، أنّ أغلب الآيات في بدايتها إشارة إلى النّاس والأمّة، وتمّ بناؤها على مستويات أربعة، في الحاضر والماضي والمشيئة والمستقبل (إنّ هذه أمتكم/كان النّاس/ولو شاء الله/ولولا أن يكون). وقد ذهب جمع من المفسّرين والرّاغب الأصفهاني منهم، إلى أنّ كلمة النّاس في الخطاب القرآني، تستعمل على وجهين، أحدهما المشار به إلى الصّورة المخصوصة، وذلك عام في الصّغير والكبير، والعاقل وغير العاقل، والثّاني المشار به إلى المختصّ بقوى العلم والعمل المحكم وهو المستعمل على طريق المدح، ولذلك يقال فلان أكثر إنسانية من فلان، لاختصاص هذا المعنى بقبول الزيادة والنقصان.[11] وبذلك فالمقصود بالقول هو التعميم بمعنى الخطاب الشّامل لجميع الخلق. فالخطاب هنا لا يفرّق بين البشر بل يجعلهم في مرتبة واحدة فيسمّيهم النّاس، فلا فرق بينهم إلاّ بالعبادة والتقوى. وفي هذا الخط سار صاحب كتاب مقاصد الشّريعة الإسلامية عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ١٣٥ ﴾.[12](النساء، 135) وفي شرحه للحديث النبوي الشريف بقول رسول الله ﷺ: (كُلُّكُمْ لِآدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، وَأَكْرَمُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ).[13] فهو يرى من خلال هذين النصّين بأنّ المساواة هي الظاهرةُ البارزةُ المميّزةُ لهذه الشّريعة.

[10] أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، الوجوه والنظائر، تحقيق محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط.1،1428هـ/2007م ص33.

[11] أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب جامعة طنطا، الطبعة الأولى1420هـ/1999م 109/1. وينظر كذلك أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، بحر العلوم، 1 /33. وينظر كذلك جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الأولى1422هـ.1/42.

[12] سورة النساء135.

[13] أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي المعروف بالأزرقي، أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار، تحقيق رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس بيروت 2 /122.

وهي مناط العدل وإثبات الحق. والأخوةُ في الدّين بين جميع المسلمين تمثّل وحدة، يتّحد بصفة عامة فيها، الفكر والتوجّه، ويخضع كلّ أفرادها إلى تشريع واحد يدينون لله به. وهو تشريع لا يتأثّر بقوّة أو ضعف، يَحمِل دوماً على مراعاة هذا الأصل، وعلى نبذ كل ما عداه من أسباب المجافاة للحق التي قد تخامر العقل، أو يحمل عليها نوع من أنواع العصبيّات النسبيّة أو القبليّة. فالمساواة حقيقة أقرّها المنهج الإسلامي، وفرض سلطانها، ورعايةَ المؤمنين جميعِهِم لها وفي هذا تقرير للمساواة بين أفراد الجنس البشري. والتساوي في حقوق الحياة في هذا العالم بحسب الفطرة، لا على ما يكون من تفاوت في الألوان والصور والسلائل والأوطان.[14]

وفي هذا الإطار دائما يُلاحظ بأنّ هذه الآية التي استشهد بها صاحب كتاب مقاصد الشريعة تأتي في سياقها آيات أخرى تسايرها في معناها كقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ٨ ﴾.[15](المائدة، 8) وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾.[16](الحجرات،13) وسبحان الله فالآيات الثلاث تتحدّث، تقريبا عن موضوع واحد، وفي نهايتها حديث عن خبرة الله بعباده. وقد ذهب صاحب كتاب أجنحة المكر الثلاثة، عند شرحه لما يمكن استنباطه من الآية13 بسورة الحجرات، إلى الحديث عن فكرة الجماعة الإنسانية. فبرأيه المقصود بالشعوب والقبائل هو شيء اقتضته طبيعة التقسيم للتعارف فقط، لا ليكون أساسا للتناكر والتخالف والعصبيّات.[17]

---

[14] محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر1425هـ/2004م، 2/128.

[15] سورة المائدة8

[16] سورة الحجرات13.

[17] عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير-الاستِشراق-الاستعمار، دراسة وتحليل وتوجيه (ودراسة منهجية شاملة للغزو الفكري)، دار القلم دمشق، ط.8، 1420هـ/2000م ص339.

وتمّ بناء الجدول السابق على ذلك الشكل والترتيب لأغراض سيأتي ذكرها في التحليل، بداية بالحاضر ثمّ الماضي بعدها المشيئة وآخرها المستقبل. والسبب راجع إلى سياق الآيات، فيُلاحظ في الآيات الأولى، إشارة واضحة بها تأكيد على أنّ الأمّة واحدة وعباد الله لا فرق بينهم، مع التركيز على مفهومي العبادة والتقوى (وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ/ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتقُونِ) وهو ترتيب منطقي جدّا يتزاوج فيه الامر بالعبادة مع الامر بالاتقاء، والعبادة هي اعتقاد الحق، وتحري الصدق، وعمل الخير وهي أسبق منطقيا من الاتّقاء. فالنّاس سواسية كأسنان المشط حسب تعاليم الدّين الواحد، ولا فرق بينهم إلاّ بالعبادة والتقوى.

فيما بعد جاء البناء على الماضي، (كان النّاس)، وسياق هذا البناء فيه إشارة إلى سبب الاختلاف، فبعد أن أمر الله عباده بالعبادة والتقوى، بعث إليهم الأنبياء والرّسل لتعليمهم مبادئ العبادة والتقوى بما يمليه عليهم كتاب الله سبحانه وتعالى، فاختلف النّاس في إدراك فحوى ذلك الكتاب.

بعدها تأتي الآيات الأربع التي تتحدّث عن مشيئة الله في عباده (ولو شاء الله لجعل...) والملاحظ على هذه الآيات هو ذكر كلمة (النّاس) بعد فعل جعل في الآية الأولى وسياق الآية فيه حديث عن استمرارية الاختلاف بين النّاس. ثمّ إضمارها في الآيات التي بعدها، فكان الضمير للمخاطبة أو الضمير الثاني في عملية التخاطب (لجعلكم) في آيتين وهو خطاب مباشر جاء فيه الحديث من خلال سياقه عن حال النّاس في الدّنيا فسبب اختلافهم هو ابتلاء من الله سبحانه وتعالى لهم ليمتحنهم فمن استطاع اتباع الحق فقد فاز ومن لم يتبع الحق فقد خاب وسينبأ الله الناس بذلك. ثمّ في مرحلة ثالثة جاء البناء للغائب أو الضمير الثالث في عملية التخاطب (لجعلهم) وسياقه فيه حديث عن حال النّاس يوم القيامة بين من سيدخله في رحمته ومن أبعده عنها، وجاءت هذه الآيات بترتيب منطقي بلاغته عالية جدّا.

ومن الملاحظات التي يمكن إبداؤها عند الحديث عن مشيئة الله، ما ذكر في سورة المائدة بالقول {شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا} فالشرعة والشريعة برأي أهل التفسير وعلوم القرآن[18] هي الطريقة الظاهرة التي توصل إلى الماء، فهي للدين الذي يوصل إلى الحياة الأبديّة كما سُمي به كناية الماء، أمّا المنهاج عندهم فهو الطريق المستقيم، ولذلك قيل الشّرعة إشارة إلى الدّين وهو الشرع، والمنهاج إشارة إلى الدّليل الذي يوصل إلى معرفته، وقد نسب إلى ابن عبّاس رأى فيه بأنّ المقصود بالشرعة هي الدّين أمّا المنهاج فهو السبيل، والدين والتشريع واحد منذ وجود آدم عليه السّلام إلى وصايا نوح عليه السّلام ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِىٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِىٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ١٣ ﴾.[19](الشورى13)

الملاحظة الثانية ما أشارت إليه الآية 119 من سورة هود، إلى أنّ الاختلاف هو حكمة من حكم الله في خلقه ﴿ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ وَتَمَّتۡ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١١٩ ﴾. وكما هو معلوم عند المفسّرين[20] فمدخل الآية يحتمل قولين الأوّل أنّ الله خلق النّاس للاختلاف. والثّاني للرحمة خلقهم. وقد سار الأغلبية مع القول الأوّل أي خلقهم ليختلفوا، فيرحم من يرحم، ويعذّب من يعذّب. وإلى ذلك ذهب الإمام مالك في قول ينسب إليه أنّ الله خلق النّاس ليختلفوا فيكون فريق منهم في الجنّة وفريق آخر في السعير.

الآية الأخيرة حسب ترتيب الجدول هي التي جاء فيها البناء احتماليا فيما هو مستقبل من الزمن (وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ). وقد ذهب صاحب كتاب معاني القرآن[21] في تفسيره لهذه الآية بأنّ فيها قولين، الأوّل يرى فيه أصحابه بأنّه لولا أن يميل النّاس إلى الدنيا فيكفروا لأعطينا الكافر هذا، لهوان الدنيا على الله عز وجل. والقول الآخر لولا إرادتنا أن يكون في الكفار غني وفقير وفي المسلمين مثل ذلك، لأعطينا الكفار من الدنيا هذا، لهوانها على الله جل وعز.

---

[18] شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، تحقيق إياد محمد الغوج وجميل بني عطا ومحمد عبد الرحيم سلطان، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة الأولى1434هـ/2013م، 5/ 376.

[19] سورة الشورى13.

[20] محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي، أحكام القرآن، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط.3، 1424هـ/2003م، 3/33.

[21] أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد، معاني القرآن، تحقيق محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى مكة المكرّمة، ط.1،1409هـ.6/353.

ومثلما هو الحال في سورة هود التي تبيّن بأنّ سبب الاختلاف، حكمة من الله سبحانه وتعالى. فيمكن القول بأنّ بهذه الآية الاحتمالية والشرطيّة الاستقباليّة، في قول ثالث قد يضاف إلى القولين السابقين، قد يراد بها والله أعلم، أنّ الله سبحانه وتعالى لو أراد أن يجعل النّاس أمّة واحدة لفعل ذلك، فبقدرته عزّ وجلّ يمكن إلغاء مفهومي الإيمان والكفر من حسابات الجزاء ثوابا وعقابا، والله سبحانه وتعالى قادر على أن يجازي الذين يكفرون بالرحمن بأن يجعل سقفهم من فضّة. كذلك القول بأنّ النّاس لو كانوا أمّة واحدة، فلا اختلاف بينهم وبذلك فهم على كلمة واحدة هي كلمة الحق والله أعلم بحكمه.

2. نظرة العلم لمفهوم التوجيه والإرشاد:

البحث عن فرد صالح بسلوك معتدل وفطرة سليمة هو مبتغى الدّين الواحد الذي أقرّه الله سبحانه وتعالى لعباده وهو الإسلام ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٩ ﴾.[22] (آل عمران، 19) فهذه آية أخرى من آيات القرآن الكريم، فيها توكيد على أنّ المنهج واحد وهو الإسلام الذي شرعه الله سبحانه وتعالى بمفهوم الانقياد والطّاعة[23]، والاختلاف مصدره بشري من النّاس أنفسهم. ولذلك ترى في القرآن الكريم القرآن آيات أخرى تدعّم هذا المنهج الواحد كقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥ ﴾.[24](آل عمران، 85) ولا ترضى بغيره فلا بديل عنه ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ ﴾.[25](المائدة3).

وقد عمل الأنبياء والرّسل بطريقة تشبه تلك التي وصل إليها وأقرّها وثبّتها علم النفس،[26] بشقّه المعروف بعملية الإرشاد والتوجيه والتوعية وهداية وإصلاح الفرد، وهي عملية تعمل على اكتشاف واستخدام إمكاناته وقدراته واستعداداته وميوله، للوصول به إلى مستوى من الإدراك والمعرفة التي تسمح له بالتعرّف على الفرص المتاحة أمامه لحلّ

[22] سورة آل عمران19.

[23] ينظر معالم التنزيل في تفسير القرآن=تفسير البغوي، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة، ط.4، 1417هـ/1997م ، 18/2.

[24] سورة آل عمران، 85.

[25] سورة المائدة، 3.

[26] ينظر حامد عبد السلام زهران، التوجيه والإرشاد النفسي، عالم الكتب، ط.3، ص46/11.

مشكلاته وحاجاته، باستخدام معرفته في إجراء الاختيارات واتخاذ القرارات والتخطيط للمستقبل بدقّة وحكمة ومسئوليّة لتحقيق التوافق، وتشجيعه على تعلّم الكيفيّة التي يمكنه بها أن يعيش في أسعد حال لنفسه ولمجتمعه.

ومن بين الأشياء التي قد تساعد على أداء عمليّة التوجيه والإرشاد في ظروف حسنة، دراسة السّلوك الاجتماعيّ، ذلك لأنّ المعني بعملية التوجيه هم الأفراد والجماعات، ومن ثمّة فدراسة الحياة في المجتمعات المختلفة واجبة من خلال الولوج إلى سيكولوجية الجماعة وديناميتها وبنائها والعلاقات الاجتماعية والتفاعل الاجتماعي وكيف تتوزّع الأدوار فيها وطبقاتها وأسلوب الحياة فيها. كذلك وجب معرفة الكيفيّة التي تتكون بها الجماعات ومعايير السلوك فيها وطرق تعلّمه واكتسابه.

وكذلك من بين وسائل المرشد الموجّه دراسة القيم والتقاليد والعادات الاجتماعية والنمو الاجتماعي والتنشئة الاجتماعية والخبرات الاجتماعية ودراسة الأسرة أقوى العوامل الاجتماعية تأثيرا في الفرد وفي تنشئته الاجتماعية، حيث يختلف تأثيرها الحسن أو السيئ باختلاف تركيبها وظروفها.

كما لا تخل عملية التوجيه والإرشاد من جانبها الديني، فالتديّن والعقيدة الدينية السّليمة تعتبر أساسا متينا للسلوك السّويّ والتوافق والصحة النفسية، من خلال أسس ومفاهيم ومبادئ وأساليب دينية روحية أخلاقية وبمفاهيم دينية أساسية مثل النظر في طبيعة الإنسان كما حدّدها الله، وأساليب الاضطراب النفسي من زاوية دينية مثل الذنوب والضلال والصراع وضعف الضمير، وأعراض الاضطراب النفسي برأي الدّين مثل الانحراف والشعور بالإثم والخوف والقلق والاكتئاب، والوقاية الدينية من الاضطراب النفسي مثل الإيمان والسلوك الديني والسلوك الأخلاقي، وخطوات الإرشاد الديني مثل الاعتراف والتوبة والاستبصار والتعلم والدعاء وابتغاء رحمة الله والاستغفار وذكر الله والصبر والتوكل على الله.

ويتميّز المرشد كذلك ببعد النظر الذي يعتمد على التوجّه الفلسفي الذي يناقش أبعاد مفهوم الحرية والاختبارات والمسئولية، والمثالية والواقعية والنفعية والمنطق واختيار فلسفة الحياة وهدف الحياة، ومفهوم الأخلاق.

وكما هو معلوم في أساليب الإرشاد والتوجيه أنّها تستند على مناهج البحث العلمي التجريبي، والوصفي الذي من أهم طرقه الملاحظة العلمية، فالنظريّة يتمّ التوصّل إليها عن طريق تسلسل علميّ يبدأ بتحديد ظاهرة تحتاج إلى تفسير، ثمّ تحديد مشكلة الدراسة التي تدور حول الظاهرة، وتحديد الهدف من البحث العلمي، وهو التفسير والتنبؤ والضبط، ثمّ تحديد الفروض التي تهدي إلى استكشاف الحقائق العلميّة، ثمّ إجراء التجارب التي تهدف إلى التّحقّق من صحّة الفروض كلّها أو بعضها، حيث تستخدم عيّنات ممثّلة واختبارات مقنّنة لقياس، متغيرات محدّدة، وهكذا يتمّ التوصّل إلى حقائق متعلّقة بالظّاهرة، ثم تصاغ القوانين العلميّة، ويتم الوصول إلى نظرية علمية.

3. المعنى المعجمي للكلمات الثّلاث محور الدّراسة:

الكلمة الأولى هي (شاهدا) متصرّفة عن الجذر الثلاثي شَهِد ومعناه عند المشتغلين بمعاجم اللّغة العربية جذر متكوّن من الأصوات الثلاثة الشِّينُ وَالْهَاءُ وَالدَّالُ وهو أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى حُضُورٍ وَعِلْمٍ وَإِعْلَامٍ، لَا يَخْرُجُ شَيْءٌ مِنْ فرُوعِهِ عَنِ الَّذِي ذَكَرْنَاهُ. مِنْ ذَلِكَ الشَّهَادَةُ، يَجْمَعُ الْأُصُولَ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا مِنَ الْحُضُورِ، وَالْعِلْمِ، وَالْإِعْلَامِ.[27]

الكلمة الثانية حسب التسلسل في الآية هي (مبشّرا/بشيرا) وهي كذلك منحدرة عن الجذر الثلاثي بَشَرَ المتكوّن من الأصوات الثلاثة الْبَاءُ وَالشِّينُ وَالرَّاءُ وهو أَصْلٌ وَاحِدٌ يدلّ على ظُهُور الشَّيْءِ مَعَ حُسْنٍ وَجَمَالٍ.[28]

الكلمة الثالثة هي (نذيرا) متصرّفة عن الجذر الثلاثي نَذَرَ المتكوّن من الأصوات الثلاثة النُّونُ وَالذَّالُ وَالرَّاءُ وفي أصله دلالة على تَخْوِيفٍ أَوْ تَخَوُّفٍ.[29]

ومن خلال الجمع بين المعنى المعجمي للكلمات الثلاث تتكوّن معاني الحضور والعلم والإعلام وظهور الشيء في حسن وجمال ثمّ التخويف والتخوّف. ولهذا الجمع دلالته.

---

[27] أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة (مادة شهد)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر1399هـ/1979م 3 /221. أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين، مجمل اللّغة، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، دار مؤسسة الرسالة بيروت، ط.2، 1406هـ/1986م، ص514.

[28] أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة (مادة بشر) 1 /251.

[29] أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة (مادة نذر)، 5 /414.

4. الصّيغة الصرفيّة للكلمات:

جاءت الكلمات الثلاث موضوع الدراسة وهي (شاهدا، مبشّرا/بشيرا، نذيرا) على ثلاث صيغ صرفية وهي: فاعلا، مفعّلا، فعيلا. وكما هو معروف في علم الصرف تختلف المعاني باختلاف المباني. وبطبيعة الحال فلكلّ واحدة من هذه الصيغ دلالتها.

فـ(شاهد) جاءت على وزن (فَاعِل) من (فَعِلَ) وهذا الوزن يدلّ على الذي قام بالفعل أو صدر منه الفعل. وهو يدل على الذي قام بفعل المشاهدة أو صدر منه فعل المشاهدة. وسيلاحظ فيما بعد ما لهذه الدّلالة من دور يجعلها تحتل الصدارة في الجملة. فهذه الصيغة برأي علماء اللّغة العربية[30] هي من باب اسم الفاعل الذي يراد به الفعل. وهنا الحال كذلك فـ(شاهد) لفظه يفيد الحدث الذي هو المشاهدة وجرى على فعله الذي هو (شهد) وصيغته وبناؤه يفيد كونه صاحب الفعل الذي صدر الفعل منه أو الذي قام بالفعل.

الصيغة الثانية هي صيغة (فعيل) التي جاء عليها (بشير/نذير) وغالبا ما تدلّ في مثل هذه الكلمات على الوصف.[31]

الصيغة الثالثة هي (مُفَعِّل) التي جاء عليها (مُبَشِّراً) هي صيغة لاسم الفاعل كذلك وهي حسب السياق من حيث القوّة أقوى من (بشيرا).

5. القرآن والتوجيه والإرشاد:

يحثّ القرآن الكريم البشر على التدبّر فيه لمعرفة صواب الأمور في هذه الدنيا من خطئها ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾.[32] (النساء82). ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾.[33] (محمد، 24).

[30] ينظر محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي أبو العباس المعروف بالمبرد، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب بيروت، 115/2. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة، 103/3. مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، البديع في علم العربية، تحقيق فتحي أحمد علي الدين، جامعة أم القرى مكة المكرمة المملكة العربية السعودية، ط.1، 1420هـ. ص505.

[31] عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر الملقب سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ط.3، 1408هـ/1988م، 267/4.

[32] سورة النساء 82.

[33] سورة محمد 24.

والمقال بصدد الحديث عن التوجيه والإرشاد والفرد الصالح، تبيّن بأنّ الحل الأمثل لذلك يكمن في القرآن الكريم. ومن بين الأمور التي تشدّ الانتباه فيه هي تلك الطريقة والمنهج الذي سار عليه أغلبية الأنبياء والرّسل في معالجة أسباب تدهور أحوال مجتمعاتهم انطلاقا من تدهور منظومة القيم والأخلاق إن لم نقل زوالها. لكن السّؤال الذي يطرح نفسه هو كيف يُعرفُ فساد المنظومة التي يسير ويتعايش بها فرد ما أو مجتمع ما من صلاحها؟ وكيف تُدرك القيم والأخلاق بأنّها قائمة بصوابها أو بفسادها حتّى تُقبل فتتَّبعُ على حالتها الأولى بصلاحها أو يُعمل على إصلاحها وتعديلها إن كانت في حالة فساد.

فكانت تلك الطريقة عبارة عن خطوات متسلسلة مترابطة ومرتبة بطريقة منطقية علمية أكاديمية إن صحّ قول ذلك. وقد حدّد ذلك المنهج في كلمات ثلاث جاءت في القرآن الكريم وهي الشّاهد والمبشّر (البشير) والنّذير.

وجاءت هذه الكلمات الثلاث في القرآن الكريم في مواضع عديدة، فجاءت مجتمعة مع بعضها البعض في آيتين بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾﴾.[34] (الأحزاب45)

ومدخل سورة الأحزاب هو نداء وأمر مباشر للأنبياء ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿٣﴾ ﴾.[35] (الأحزاب،1-3)

فالأنبياء قد وهبهم الله سبحانه وتعالى الأولويّة وسلطة الولاية على من يؤمنون بما جاءوا به ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ﴿٦﴾ ﴾.[36] (الأحزاب، 6)

فالهدف الرئيس للأنبياء والرسل هو إخراج النّاس من الظلمات إلى النور، وذلك ما جاءت الإشارة إليه في سورة الأحزاب في آية تسبق مباشرة الآية المقصودة بالدراسة بقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾﴾.[37]

[34] سورة الأحزاب 45.

[35] سورة الأحزاب1/2/3.

[36] سورة الأحزاب6.

[37] سورة الأحزاب43.

وهذه الآية الأولى التي تجتمع فيها الكلمات محور الدّراسة يأتي بعدها في سياق سورة الأحزاب الحديث عن الدّعوة إلى الله والسّراج المنير وبشرى المؤمنين بأنّ لهم من الله الفضل الكبير مع الابتعاد عن طاعة الكافرين والمنافقين وترك أذاهم والتوكل على الله. فهذان خطّان متوازيان متضادّان في مسيرة الإنسان بين الإقبال والمنع.

والآية الثانية محور الدّراسة جاءت في سورة الفتح هي قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٨ ﴾.[38](الفتح،8) ويستمر سياق الآية بعدها بالدعوة إلى الإيمان بالله ورسوله ليعزّروه ويوقّروه ويسبحوه بكرة وأصيلا. وأمّا سياق بناء سورة الفتح من بدايتها فهو حديث عن الفتح المبين حيث ذهب المفسّرون إلى أنّ المقصود بهذا الفتح، هو الرّسول عليه الصلاة والسلام، ولكن إذا ما حملت على الاتّباع فقد تذهب إلى أبعد من ذلك التفسير وتتعدّاه إلى الحديث عن مسؤوليّة كلّ مؤمن بتلك الرّسالة في إشاعتها بين النّاس. فكلّ إنسان مؤمن برسالة الأنبياء والرّسل على تتابعهم هو معني بمنهج التبليغ المبني في أساسه على الشاهد والمبشّر والنذير.

فما سرّ هذا التتابع بالذّات؟

المشاهدة مرحلة من مراحل المعرفة الأولى، التي من خلالها يعرف المرء أحسن الأمور من أسوئها، جيّدها من رديئها، صوابها من خطأها. فلا يمكن للإنسان أن يصلح ويغير من سلوك مجموعة بشرية ما أو فرد، وقد اتخذ موضع المصلح دون معرفة طرق تفكير هذه الجماعة أو ذلك الفرد وسلوكه. فالمشاهدة والمعاينة هي السّبيل إلى ذلك وهي بمثابة الملاحظة التي يعتمد عليها أيّ باحث مفكّر في أمور هذه الدّنيا وفي أسرار هذا الكون وهي الخطوة الأولى لاكتساب المعرفة. والعامل على إصلاح الأمور وجب عليه الملاحظة أوّلا والتي تتلخّص في فعل المشاهدة وتمثّله هنا كلمة "شاهد" من فعل المشاهدة ببنائها وصيغتها على وزن (فاعل) وهو الذي يقوم بالفعل أو يكون مشاركا فيه أو يصدر عنه فعل المشاهدة. ضف إلى ذلك فالمشاهدة هي فعل من أفعال العين.

[38] سور الفتح 8.

ومثلما لوحظ من قبل في المعنى المعجمي فالكلمات الثّلاث تجتمع فيها مفاهيم الحضور والعلم والإعلام وظهور الشيء في حسن وجمال ثمّ التخويف والتخوّف. وبذلك يمكن القول بأنّ المحور الرّئيس لعمل الأنبياء والرسل هو الملاحظة الحضوريّة أوّلا التي من خلالها تكتسب المعرفة العامّة بشؤون الأمّة والتعلّم منها بالدربة والمتابعة ثمّ يأتي دور إعلام النّاس بوجود أشياء جيّدة لهم لو قاموا بها ستعود عليهم بالفائدة الكبيرة والنفع الكثير، وستضمن لهم السّعادة المنشودة في دنياهم، لما شاهدوه ولاحظوه صلاحا وفسادا بحضورهم في مجتمعاتهم وفي ذلك ملمح من ملامح البشرى أي المرحلة الثانية بعد المشاهدة. لتأتي بعدها المرحلة الثالثة وهي مرحلة الإنذار حيث بها إشارات إلى مآلات عدم التقيّد بتعاليم البشارات، بمعنى عدّلوا من سلوككم من خلال اتباع كذا وكذا ففي ذلك صلاح، وإن لم تفعلوا كذا وكذا فذلك غير صالح وسيصيبكم كذا وكذا. فلا يمكن الحكم على الإنسان إن كان صالحا أو فاسدا دون معرفته معرفة جيّدة، معرفة لا يمكن إدراكها إلاّ من خلال المشاهدة ومرافقته مرافقة دائمة مستمرّة وإلاّ ستكون الشهادة والحكم عليه جائرين في حقّه.

كذلك الإنسان بطبعه كائن متعلّم ثمّ مفكّر، ففطرته تدفعه إلى البحث المستمر عن من يوجّهه، ولذلك لجأ البشر إلى الله سبحانه وتعالى في رحلة بحثهم عن من يوجّههم بعد إحساسهم بالإخفاق في مسار حياتهم، فعندما غابت عنهم الحلول وأحسوا بالفشل تمنّوا أن يكون لهم من يرشدهم ﴿ وَلَوۡ أَنَّآ أَهۡلَكۡنَٰهُم بِعَذَابٖ مِّن قَبۡلِهِۦ لَقَالُواْ رَبَّنَا لَوۡلَآ أَرۡسَلۡتَ إِلَيۡنَا رَسُولٗا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبۡلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخۡزَىٰ ١٣٤ ﴾.[39](طه، 134) لكن بمجرّد أن يبعث الله للبشريّة الرّسل ترى على كثير منهم عدم أخذ الأمور بجديّة ﴿ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ٢ ﴾.[40](الأنبياء، 2) ومن ثمّة تأتي المرحلة الثالثة وهي النّذير وبعدها العقاب، والذي سيناقش فيما بعد.

[39] سورة طه134.

[40] سورة الأنبياء2.

كما أنّ هذه الكلمات الثلاث محور الدّراسة، قدّ خصّها الحديث النبوي الشريف بباب لها في شرحه لمعنى هذا التلاقي " عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا " : أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ الَّتِي فِي القُرْآنِ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا. قَالَ فِي التَّوْرَاةِ: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَحِرْزًا لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ المُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ، وَلاَ سَخَّابٍ بِالأَسْوَاقِ، وَلاَ يَدْفَعُ السَّيِّئَةَ بِالسَّيِّئَةِ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ المِلَّةَ العَوْجَاءَ، بِأَنْ يَقُولُوا :لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَيَفْتَحَ بِهَا أَعْيُنًا عُمْيًا، وَآذَانًا صُمًّا، وَقُلُوبًا غُلْفًا".[41]

فهذا الحديث يلخّص بشكل بليغ المراد والحكمة من تتابع تلك الكلمات، وبيانها وجمالياتها، وقد أفاض شرّاح الحديث[42] في تفسير معنى هذا الحديث وتوضيح كلماته بإبعاد سوء الخلق وقسوة القلب ورفع الصوت والحقد عمن يقوم بذلك الدور الإرشادي الإعلامي.

وقد ذكر الطبراني في كتابه الدّعاء حديثا عن النبيّ ﷺ شارحا لتلك الكلمات "قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَةٌ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ۝٤٦ ﴾. قَالَ: شَاهِدًا عَلَى أُمَّتِكَ، وَمُبَشِّرًا بِالْجَنَّةِ، وَنَذِيرًا مِنَ النَّارِ، وَدَاعِيًا إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، بِإِذْنِهِ بِأَمْرِهِ، وَسِرَاجًا مُنِيرًا يَقُولُ: الْقُرْآنُ".[43] فكلّ الأنبياء والرّسل كانوا شاهدين على أقوامهم فبشّروهم بالجنّة ونعيمها وسعادتها وأنذروهم من النّار وعذابها.

[41] حمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري) (باب إنّا أرسلناك شاهدا)، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط.1، 1422هـ.. 6 /135. شمس الدين البِرْماوي أبو عبد الله محمد بن عبد الدائم بن موسى النعيمي العسقلاني، اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح (باب إنّا أرسلناك شاهدا)، تحقيق لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، دار النوادر سوريا، ط.1، 1433هـ/2012م، 422/12.

[42] ينظر زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي المصري الشافعي، منحة الباري بشرح صحيح البخاري المسمى «تحفة الباري»، تحقيق سليمان بن دريع العازمي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع الرياض المملكة العربية السعودية، ط.1، 1426هـ/2005م، 8 /149.

[43] سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، الدعاء للطبراني، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، ط.1، 1413هـ، ص161.

ودائما مع كلمة "شاهد" فقد جاءت على انفراد دون ارتباط بكلمتي "مبشّر ونذير" في آية واحد في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ رَسُولَا ١٥﴾.[44] (المزّمّل، 15) وللحديث عن كلمة "شاهد" وشرح المقصود منها من خلال هذا المقال، فهذا نموذج عمليّ من نماذج القرآن الكريم، لوصف ذلك بشكل دقيق، وهو طريقة سيّدنا إبراهيم عليه السلام ومنهجه الذي اهتدى به إلى الدّين الحقّ والفطرة السليمة، من خلال ملاحظته وتحليله للأمور وسلوك قومه، والتي تتلخّص بما جاء في سورة الأنعام من قصّة سيّدنا إبراهيم بقوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصۡنَامًا ءَالِهَةً إِنِّيٓ أَرَىٰكَ وَقَوۡمَكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٧٤ وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ ٧٥ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ ٧٦ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ ٧٧ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ٧٨ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٧٩ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ٨٠ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمۡ أَشۡرَكۡتُم بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ عَلَيۡكُمۡ سُلۡطَٰنٗاۚ فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٨١﴾.[45] (الأنعام71وما بعدها) فبفطرته السّليمة وبقوّة ملاحظته أو شهادته وسلامة تحليله استطاع إدراك أنّ الأشياء الآفلة الزائلة لا يمكن عبادتها، بالرّغم من حركتها وكبر حجمها وعلوّها، فما بالك بالأصنام الجامدة التي كان يعبدها قومه، حيث تبرّأ منها كأوّل خطوة له في رحلته لتغير ذهنيات وسلوك قومه.[46]

[44] سورة المزّمّل15.

[45] سورة الأنعام، 81/80/79/78/77/76/75/74.

[46] يمكن الاطلاع على تفسير هذه الآيات عبد الله بن عباس، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، جمعه مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الكتب العلمية، لبنان، ص.113

6. المبشّر والنّذير:

جاءت كلمتا المبشّر والنذير في موضعين من القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ ﴾.[47](الإسراء، 105) وفي قوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ ﴾.[48](الفرقان،56) والملاحظ على الآية الأولى حديثها عن الانطلاق من المرحلة الثانية وهي بداية التبشير والتعاليم التي نزلت بالحقّ. فالشاهد غير مذكور هنا لأنّ النّزول قد حدث؛ أي تمّ تجاوز تلك المرحلة.

7. البشير والنذير:

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ ﴾.[49] (البقرة، 119).

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ ﴾.[50](المائدة19)

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾.[51] (سبأ،28)

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾.[52](فاطر، 24)

﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾.[53](الأعراف، 188)

﴿ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿٢﴾ ﴾.[54](هود2).

[47] سورة الإسراء 105.
[48] سورة الفرقان56.
[49] سورة البقرة119.
[50] سورة المائدة19.
[51] سورة سبأ28.
[52] سورة فاطر28.
[53] سورة الأعراف188.
[54] سورة هود2.

في غالب هذه الآيات التي يأتي فيها اقتران بين (بشيرا ونذيرا) كلّها فيها أسبقية للبشرى على الإنذار إلاّ آيتين في سورة الأعراف188 وفي سورة هود2، حيث كانت الأسبقية للإنذار على البشرى، والسبب حسب بناء الجملة وسياقها، راجع إلى كون الحديث في بداية الآية عن عدم القدرة على النفع والضرّ وعدم العلم بالغيب الذي لو كان لاستكثر الرّسل من فعل الخيرات بسببه، ليقول بأنّه مجرّد نذير لإبعاد السّوء بفعل الخير وبشير لقوم يؤمنون.

8. كلمة "نذير" في القرآن والنذير المبين:

وردت كلمة "نذير" في القرآن الكريم في آيات عديدة، وكلّ آية لها سياقها وغرضها الذي تخرج إليه، ومن بين الآيات التي تخدم هذا المقال بشكل واضح قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾.[55](القصص،46) وجاء تركيز المقال على هذه الآية بالذات لخدمتها لموضوعه، ولتدرّج المشاهدة والبشير وبعدها النذير، فالله سبحانه وتعالى لا يعاقب البشر إلاّ بعد أن يعلمهم بخطئهم ولا يظلم أبسط النّاس وهم العبيد فما بالك بالعباد ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾.[56](فصّلت، 46) فقد جاء في الأثر في شرح الآية السّابقة من سورة القصص، أنّ رب الْعِزَّة نَادَى يَا أمة مُحَمَّد إِن رَحْمَتي سبقت غَضَبِي، وقد سئل الرسول عليه الصلاة والسّلام عن طبيعة النداء والرحمة في هذه الآية فقَالَ كتاب كتبه الله قبل أَن يخلق خلقه بألفي عَام ثمَّ وَضعه على عَرْشه ثمَّ نَادَى: يَا أمة مُحَمَّد سبقت رَحْمَتي غَضَبِي أعطيتكم قبل أَن تَسْأَلُوني وغفرت لكم قبل أَن تستغفروني فَمن لَقِيَنِي مِنْكُم يشْهد أَن لَا إِلَه إِلَّا الله وَأَن مُحَمَّد عَبدِي ورسولي صَادِقا أدخلته الْجنَّة.[57] فالله سبحانه وتعالى لا يعذب عباده حتى يبشّرهم ثمّ ينذرهم برسله طبعا ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾.[58] (الإسراء،15)

---

[55] سورة القصص46.

[56] سورة فصّلت46.

[57] الدر المنثور، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، دار الفكر بيروت ج6 ص418.

[58] سورة الإسراء15.

ومن بين الملاحظات التي يمكن إبداؤها، والمقال بصدد مناقشة كلمة "نذير" في القرآن الكريم، هو اقترانها في آيات عديدة مع كلمة "مبين". فكانتا أي كلمتا "نذير ومبين"، معرّفتان في آية واحدة، ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَقُلۡ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٨٩﴾ ﴾.[59](الحجر،89) وفي ذلك توكيد واضح على أنّ النذير كان واضحا مبينا في إنذاره، مصرّحا به، ومتوعّدا ولم يكن مبهما، بل من كان موجّها لهم الخطاب هم من كانوا لا يسمعون ﴿ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٤﴾ ﴾.[60](فصّلت،4) ﴿ أَوَلَمۡ يَهۡدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ أَهۡلِهَآ أَن لَّوۡ نَشَآءُ أَصَبۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡۚ وَنَطۡبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ﴿١٠٠﴾ ﴾.[61](الأعراف100) ثمّ غير معرفتان بالألف واللاّم في باقي الآيات في قوله تعالى:

﴿ أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿١٨٤﴾ ﴾.[62](الأعراف،184)

﴿ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ ﴾.[63](هود، 25)

﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٤٩﴾ ﴾.[64] (الحج، 49)

﴿ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿١١٥﴾ ﴾.[65] (الشعراء، 115)

﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَٰتٞ مِّن رَّبِّهِۦۖ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ ﴾.[66] (العنكبوت، 50)

﴿ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٧٠﴾ ﴾ .[67](ص، 70)

﴿ قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٩﴾ ﴾.[68](الأحقاف، 9)

[59] سورة الحجر89.
[60] سورة فصّلت4.
[61] سورة الأعراف100.
[62] سورة الأعراف184.
[63] سورة هود25.
[64] سورة الحج49.
[65] سورة الشعراء115.
[66] سورة العنكبوت50.
[67] سورة ص70.
[68] سورة الأحقاف9.

﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ ﴾.[69](الذّاريات، 50)

﴿ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١ ﴾.[70](الذّاريات،51)

﴿ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٢٦ ﴾.[71](الملك،26)

﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢ ﴾.[72](نوح، 2)

ويمكن تلخيص الآيات السابقة في الجدول الآتي:

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا	نَذِيرٌ مُّبِينٌ
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ	
قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ	
إِنْ أَنَا إِلَّا	
وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ ۖ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا	
إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا	
قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا	
فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ	
وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ	
قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا	
قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ	

والملاحظ على مجمل هذه الآيات، تركيزها على كون العلم والوحي والآيات من عند الله. وفي ذلك توكيد دائم على أنّ المهج واحد، وعلى أنّ الرّسل بعضهم مكمّل لبعض (**قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ**) ولا اختلاف بينهم، وكلّهم كانوا واضحين مبينين فيما بشّروا به وهم الآن كذلك فيما ينذرون به. فكأنّ الامر بمثابة إقامة الحجّة على من لم يومن.

[69] سورة الذاريات50.

[70] سورة الذاريات52.

[71] سورة الملك26.

[72] سورة نوح2.

الخاتمة:

وكخاتمة لهذا المقال، وجب علينا الاستشهاد بقوله تعالى ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾.[73](آل عمران،159) فما عسانا ونحن نقتدي بأنبياء الله ورسله، وبمحمّد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليمّ، خاتم الأنبياء والرسل، إلاّ أن نلين في قولنا وفعلنا برحمة من الله، فلا يكون قلبنا فظّا غليظا، فينفض من حولنا ممن نطمع في أن نكون سببا في هدايتهم، بل نعمل على أن نقرّبهم منّا بالعفو ومشاورتهم ومحاولة فهم مطالبهم، والتوفيق من الله سبحانه وتعالى.

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم براوية حفص1.

1.أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب جامعة طنطا، ط.1، 1420هـ/1999م.

أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، بحر العلوم.

2.أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد بن محمد بن الوليد بن عقبة بن الأزرق الغساني المكي المعروف بالأزرقي، أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار، تحقيق رشدي الصّالح ملحس، دار الأندلس، بيروت، (د.ت)

3.أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد، معاني القرآن، تحقيق محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى مكة المكرّمة، ط.1، 1409هـ

4.أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي، معالم التنزيل في تفسير القرآن/تفسير البغوي، تحقيق محمد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة، ط.4، 1417هـ/1997م.

5.أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، الوجوه والنظائر، تحقيق محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط.1، 1428هـ/2007م.

6.أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي أبو الحسين، مجمل اللّغة، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، دار مؤسسة الرسالة بيروت-لبنان، ط.2، 1406هـ/1986م.

7.أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ/1979م.

8.جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، زاد المسير في علم التفسير، تحقيق عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي بيروت-لبنان، ط.1، 1422هـ

[73] سورة آل عمران 59.

9.حامد عبد السلام زهران، التوجيه والإرشاد النفسي، عالم الكتب، ط.3، (د.ت.)

10.زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي المصري الشافعي، منحة الباري بشرح صحيح البخاري المسمى «تحفة الباري»، تحقيق سليمان بن دريع العازمي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع الرياض المملكة العربية السعودية، ط.1، 1426هـ/2005م.

11.سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، الدعاء للطبراني، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط.1، 1413هـ.

12.شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب (حاشية الطيبي على الكشاف)، تحقيق إياد محمد الغوج وجميل بني عطا ومحمد عبد الرحيم سلطان، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، ط.1، 1434هـ/2013م.

13.شمس الدين البِرْماوي أبو عبد الله محمد بن عبد الدائم بن موسى النعيمي العسقلاني، اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، تحقيق لجنة مختصة من المحققين بإشراف نور الدين طالب، دار النوادر سوريا، الطبعة الأولى1433هـ/2012م.

14.عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، دار الفكر بيروت.

15.عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: التبشير-الاستِشراق-الاستعمار، دراسة وتحليل وتوجيه (ودراسة منهجية شاملة للغزو الفكري)، دار القلم دمشق، ط.8، 1420هـ/2000م.

16.عبد الله بن عباس، تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، جمعه مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الكتب العلمية، لبنان، (د.ت.)

17.عمرو بن عثمان بن قنبر أبو بشر الملقب سيبويه، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ط.3، 1408هـ/1988م.

18.مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، البديع في علم العربية، تحقيق فتحي أحمد علي الدين، جامعة أم القرى مكة المكرمة المملكة العربية السعودية، ط.1، 1420هـ

19.محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر، 1425هـ/2004م.

20.محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط.1، 1422هـ

21.محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي، أحكام القرآن، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط.3، 1424هـ/2003م.

22.محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي أبو العباس المعروف بالمبرد، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب بيروت، ج2 ص115. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط.4، (د.ت.)